تطور اللغة العربية نتيجة اتصال أهلها بغيرهم

(الحلقة الأولى : اتصالهم بالساميين)

للدكتور التهامي الراجي الهاشمي

يلاحظ الدارس للغة العربيـيـة ان بينها وبين اللـغـة الآرامية (1) والكنعانية والعبرية والفينيقية والبابلية والحبشية والنبطية والاشوريـة والمهرية واللهجات العربية الجنوبية أوجه شبه كثيرة ، منها مثلا ، وهو الاهم بدون شك ، تلك الظاهرة المألوفة في هذه اللغات السامية المشـار اليها أعلاه وهي «الاشتراك» .

والاشتراك ، في نظري ستة فروع .

الفرع الاول : الاشتراك الذي يتجلى في حروف المعاني .

يشهد نحاة اللغات السامية أن الافعال الماضية مشتركة بين الخبـر والانشاء في جل اللغات السامية ، فهي مثلا مشتركـة ، بين الماضـي والمستقبل في اللغتين العربية والعبرية .

أما في اللغة العربية فان الفعل المضارع ينقل الى ماض اذا دخلت عليه «لم» او «لما» الجازمتان وينصرف معنى الماضي في العبرية الـى المستقبل اذا سبق بواو القلب ו׳ הַהָפּיךְ: waw hahepough.

فاذا قلنا «لم يخرج» فكأننا قلنا انه «مافعل هذا الفعل قبل» .

---

1 ــ كنت خصصت بحثا خاصا للالفـاظ الارامية الموجودة فى القرآن ، نشرت القسـم الاول منه فى مجلة «البحث العلمي» العدد 18، ونشرت القسم الثاني منه فى مجلة «الباحث» العدد 2

ومعلوم أن الساميين لم يعتبروا في تصريفهم للفعل زمن المدة (2) (حاضر ، ماض ، مستقبل) ، ذلك الزمن الذي يجري فيه الحدث المنصوص عليه من طرف الجذر .

لقد وقف الساميون جميعا من الحدث موقفا ذاتيا اكثر من اللازم ، فسجلوا لحظة الانتهاء و «الاتقان» الذين بلغهما الفعل أو الحالة التي ينص عليها الجذر الملاحظ في نفوسهم بقطع النظر عن البرهة الزمنية .

ولهذا فليس للغات السامية الا زمنان .

أ ـ منجز وهو الذي ينص على أن الحدث تم انجازه او أن الحالة واقعةفعلا

ب ـ غير منجز وهو الذي يدل على عكس ذلك ، حدث غير منته أو حالة لم تقع تامة (3) .

كما يشهد جل نحاة اللغات السامية أن صيغة اسم الفاعل مشتركة بين الماضي والحال والاستقبال وتفيد الاستمرار التجدد، في العربية والسريانية والعبرية .

مثال آخر يعزز هذا الفرع

لنأخذ «ان» المؤكدة

اتفق الكوفيون والبصريون معا على أن «ان» شبيهة بالفعل وهي عند الكوفيين فرع عنه ، والفرع أضعف من الاصل ، ولذا فهي ، في نظرهم ، لاتعمل في الخبر جريا على القياس في حط الفروع عن الاصول ، وهي ، عند البصريين شبيهة بالفعل لفظا ومعنى لانها :

أ ـ على وزن الفعل .

ب ـ مبنية على الفتح مثله .

---

2 ـ نقصد بزمن المدة ما يعرف عند الغرب La période de la durée

3 انظر لمزيد من التفصيل La grammaire hébraïque

لمؤلفها J. Touzard صفحة 175 من طبعة باريس 1932 و كذا

Nociones de gramática hebrea Antonio Ramirez 1958

صفحة 59 من طبعة Bilbao سنة 1958

ج ـ تقتضي الاسم كما يقتضي الفعل الاسم تماما .

د ـ ولان نون الوقاية تدخلها : كما تدخل على الفعل .

هـ ـ ولان فيها معنى الفعل الذي هو «حققت» (4) .

هذا المعنى الفعلي هو السبب في نصب اسمها .

أعتقد ان مدرسة الكوفة على حق حين قررت أن «ان» لاترفع الخبر ، لان خبرها خبر لمبتدا محذوف تقديره «هو» .

ومعلوم أن «ان» مركبة من ثلاث وحدات دنيا موحية ، الوحدة (5) الدنيا الموحية الاولى هي «ا» والثانية هي النون ، وهما عنصران اشاريان، والثالثة نون اشارية أخرى أوتي بها على سبيل التقوية والتأكيد .

واذن «ان» هي اسم صوت مركب مـــن :

ان + ن .

فالمـــثـــال :

(1) ان زيـــدا قـــائـــم .

هي بنية سطحية . فاذا اعتبرنا ما اعتبره النحاة الاقدمون فـــي «ان»

---

4 ـ انظر التفصيل عن ذلك فى «الانصاف فى مسائل الخلاف » للانباري المسالة 22

5 ـ نقصد ب « الوحدة الدنيا الموحية» Unité significative minima

وسنطلق على l'unité dintinctive minima الوحدة الدنيا المميزة

حين قرروا أنها بمعنى «حققت» أو «نظرت» كانت البنية ما تحت العميقة (6) هـــي :

(2) انظر زيدا ! هو قائـم .

وكانت البنية العميقة (القياس الاول) لهذا المثال هي :

(3) ان زيدا هو قائـم .

فقائم ، كما نرى ، ليس في حقيقة الامر خبرا لزيد لان «زيدا» مفعول به لـ «ان» = (انظر) ، ولكنه خبر لضمير محذوف في البنية السطحيـة تقديره (هو) .

فالبنية السطحية لهذا المثال هي :

(4) ان زيـدا قـائـم .

واعتقد ان كلام العلامة ابن يعيش في الموضوع لايبعد كثيرا عما ذهبنـا اليه : يقول مشيرا الى الوظيفة الاصلية لـ «ان» :

«وانما خرجت «ان» الى معنى أجل لانها تحقيق معنى الكلام الـذي

---

6 ـ تضع العرب قياسا اولا (تسميـه اللسانيات » البنية العميقة) ثم تخالفه الـى قياس ثان ، او على الاصح الـى الاستعمـال (تسميه اللسانيات الحديثـة ب « البنيـة السطحية »)

ولقد ترك لنا علماء اللغة الاقدمون امثلـة لاتحصى عن هذا الامر الذين كانوا يهتمون بـه غايـة الاهتمـام

الا ان العرب بخلاف الغرب ميزوا بيـن القياس الاول الوارد (البنية العميقة) و بيـن القياس الاول غير الوارد (هـو ما اسميـه بالبنية ما تحت العميقة) ولنضرب لذلـك امثلـة :

ـ القياس الاول الوارد : ما اجوبه !

ـ القياس الثاني او الاستعمال : مـا اجود جوابـه !

ـ القياس الاول غير الوارد لعمرك مـا اقسم به لاقومـن

القياس الثاني او الاستعمال لعمرك لاقومـن

سأتحدث عن هذه القضية بتفصيل فـي الكتاب الذي سميته « النموذج فى تحليل النص اللغوي » الذي سيظهر قريبا بحول الله

تدخل عليه في قولك : «ان زيدا راكب» ، فلما كانت تحقق هذا المعنى خرجت الى تحقيق معنى الكلام الذي يتكلم به المخاطب القائل كما كانت تحقق معنى كلام المتكلم ، فصارت تارة تحقق كلام المتكلم وتارة تحقق معنى كلام غيره» (7) .

فاذا أردت بعد كل هذا الكلام الطويل ان اقنع الناس بأن «ان» هذه هي من المشترك ، وجب علي ان أتعرض لها في لغات سامية أخرى . فان وجدتها في هذه اللغات **مركبة** أيضا ، وانها **بمعنى الفعل وانها تنصب الاسم أو الضمير** ، جاز لنا أن ندعي أنها من المشترك .

نعلم ان نظير «ان» في اللغة العبرية هو הִנֵּה (هني (hinné) التي هي بمعنى (أنظر ، (شاهد) ، (ها) ، (هاهو) . وهي ، مثل اختها العربية مركبة من :

הִן (هن (hin

נֵּה (نـي (né

ولاشك أن هذا الفعل (شاهد ، انظر) الذي تؤديه הִנֵּה (هني) جاء تطويرا لاداة الاشارة «هذا»

وفعلا نقول في «ها أنذا»

הִנְנִי (هنني (hinné

أو הִנֵּנִי (هنني (hinnané

ونقول في «هاهو»

הִנֵּהוּ (هنهو (hinnahou

لذا نستطيع أن نقول دون ان نقع في الخطأ أن من أجل هذا تنصب הִנֵּה (هني) الاسم أو الضمير بعدها .

---

7) انظر شرح المفصل ، الجزء الثامن، الصفحات 78 و 124ـ125)

وهذا مانشاهده بالضبط في المقطع اللغوي الذي نقرأه في سفر التكوين ، جاء فيه (8) וַיֹּאמֶר הִנֵּה הָאֵשׁ וְהָעֵצִים

(ويومرهني ها ايش وها عصيم)

وترجمة هذا المقطع الى اللغة العربيّة :

(1 ت) «فقال هاهي النار و (هاهو) الحطب»

فاللفظة «النار» في المثال أعلاه منصوبة ، واذا لم تظهر علامة النصب، فلان حركات الاعراب زالت من العبرية (9) .

وكما تلحق «ان» العربية نون الوقاية فنقول :

انني ، وانك ، واننا .. الى آخره ، فان هذه النون تلحق أيضا הִנֵּה (هني) العبرية فنقول :

הִנְנִי (هني) انظري ـ هاأنذا) .

و הִנְּךָ (هنكا hennekka) ها أنت ذا . الى آخره .

الفرع الثاني نقل معنى اللفظ من حقل الى آخر

أعتقد أنه من المفيد ، ولو أننا قطعنا الان أشواطا في هذا الباب ان نعرف بالمشترك ..

ويخيل الي ان من أحسن من حده هو السيوطي في مزهره :

قال : (10) «حده أهل الاصول بانه اللفظ الواحد الدال على معنيين مختلفين فاكثر دلالة على السواء عند أهل تلك اللغة ، واختلف الناس فيه ، فالاكثرون على انه ممكن الوقوع ، لجواز ان يقع اما من واضعين ، بأن

8) انظر سفر التكوين 22: 7

9) انظر لمزيد من التفصيل كتاب Ewald المعنون ب :
Ausführliches Lehrbuch der Hebraïschen - Göttengen 1870.

10 ـ انظر في المزهر الجزء الاول صفحة 369 فى النوع الخامس والعشرون : « معرفة المشترك »

يضع احدهما لفظا لمعنى ، ثم يضعه الآخر لمعنى آخر ، ويشتهر ذلـك اللفظ بين الطائفتين في افادته المعنيين .. وهذا على أن اللغات غـير توقيفية ، واما من واضع واحد لفرض الابهام على السامع حيث يكون التصريح سببا للمفسـدة ...

الفـرع الثالث : حـوادث تصريفيـة طـرأت عـلى لفظيـن متقاربيـن في الصيغـة الـواحـدة

مثل ابن درستويه في شرح الفصيح لهذا الفرع من المشتـرك بلفظة « وجـد » واختلاف معانيها ، فقال :

« هذه اللفظة من أقوى حجج من يزعم أن من كلام العرب ما يتفـق لفظه ويختلف معناه ، لان سبويه ذكره في أول كتابه ، وجعله من الاصـول المتقدمة ، فظن من لم يتأمل المعاني ، ولم يتحقق الحقائق أن هذا لفـظ « واحد قد جاء لمعان مختلفة ، وانما هذه المعاني كلها شيء واحد ، وهو اصابة الشيء خيرا كان أو شرا ، ولكن فرقوا بين المصادر ، لان المفعولات كانت مختلفة فجعل الفرق في المصادر بأنها أيضا مفعولة ، والمصادر كثيرة التصاريف جدا ، وأمثلتها كثيرة مختلفة ، وقياسها غامض ، وعللها خفية ، والمفتشون عنها قليلون ، والصبر عليها معدوم ، فلذلك توهم أهل اللغـة أنها تأتي على غير قياس ، لانهم لم يضبطوا قياسها ولـم يقفـوا عـلى غـورهـا (11) » .

ان كلام ابن درستوية ، رغم طوله ، يحتاج الى توضيح .

انه يقول ان لفظ « وجد » الذي يتفق لفظه ويختلف معناه يقع التفريق في معانيه بواسطة المصادر التي هي كثيرة العدد ، قياسها غامض وعللهـا خفـيـة .

يمكن أن يكون ما ذهب اليه ابن درستوية منطلقا ما للفـرق بيـن

---

11 ـ نقل هذا الكلام السيوطي في المزهر الجزء الاول صفحة 384 ابتداء من السطـر الخامس

	الجذر	مضارع	المصدر 1	المصدر 2	المصدر 3	المصدر 4	المصدر 5	المصدر 6	المصدر 7	المصد 8	حرف المعني
ا	وَجَدَ	—	وَجْدًا	وُجْدًا	جِدَةً	وُجودًا	وِجدانًا	إجدانًا	Ø	Ø	المطلوب ظفر به
ب	وَجَدَ	—	Ø	Ø	Ø	وُجودًا	Ø	Ø	Ø	Ø	علم ينصب مفعولين
ج	وَجَدَ	—	وَجدًا	وُجدًا	جِدَةً	Ø	Ø	Ø	وِجْدًا	Ø	المال ونحوه استغنى به
د	وَجَدَ	— وِ	وَجْدًا	Ø	جِدَةً	Ø	وِجْدانًا	Ø	Ø	موجدةً	عليه : غضب
هـ	وَجَدَ	—	وَجْدًا	Ø	Ø	Ø	Ø	Ø	Ø	Ø	به : أحبه حبًا شديدًا
و	وَجَدَ	—	وجْدًا	Ø	Ø	Ø	Ø	Ø	Ø	Ø	له : حزن
ز	وجِد	يَتَوْجَدُ	وجْدًا	Ø	Ø	Ø	Ø	Ø	Ø	Ø	به : أحبه حبًا شديدًا
ح	وَجَدَ	يتَوْجَدُ	وجْدًا	Ø	Ø	Ø	Ø	Ø	Ø	Ø	له : حزن

معاني اللفظ المشترك ، ولكن ليس هو المنطلق الاقوم على كل حال ولاالسليم قطعـــا .

ولنمثل لذلك بما مثل به ، لنأخذ فعل « وجد » الذي يعطينا الجـــدول الآتي ، جدولا نرى في خانته الاولى الجذر « وجد » وفي خانته الثانيـــة مضارع هذا الجذر ، وفي الخانات الموالية من 3 الى 10 المصادر ، وفـــي الخانة 11 المفعولية او حرف المعـنى .

(أنظـر الجـدول رقـم 1.)

ان هذا اللفظ لا يكون لفظا مشتركا فعـلا الا في المستـــوى الاول ، مستوى **الدال بالقوة** (12) ، اي مستوى الجذر اللغوي الذي هو ، كـــما لايخفى ، **في الامتداد النازل (13)** ، أو على أصح تعبيَر **في الامتداد المغلق،** (14) ميدان اللغة .

---

12 ـ الدال بالقوة هـو مـا يعرف عنـد غيرنـا ب : Signifiant de puissance

13 ـ الامتداد النازل هو ما يعرف عنـد غيرنـا ب : Tension décroissante

14 ـ الامتداد المغلق (بكسر اللام) هوما يعرف عند غيرنا ب .La tension fernante

أما المستوى الثاني ، وهو مستوى يتحول فيه الجذر الى المضارع ، فانه ، حتما ، يبتعد يسيرا عن حقل القوة ، ليلج عتبة باب **الامتداد الفاتح** (15) ، انه يكاد يتخطى ميدان القوة ليسرح في ميدان **الدال بالفعل** (16) .ومن الطبيعي ، والحالة هذه أن يبدأ التفريق بين معاني اللفظ ، وبما أنه لم يبتعد الا يسيرا فان التفريق لا يكون الا قليلا أيضا .

فاذا تابعنا الزمن مع شعاعه في تلك العملية التي نسميها عادة بـ : « **عملية الخطاب** » (17) ـ واننا لنحتاج ، مما في ذلك من شك ، الى **الزمن لنتكلم** (18) كما نحتاج الى وقت لنمشي ـ دخلنا حقل الفعل ، أي حقل الامتداد الفاتح ، فكانت المصادر .

وهذا المستوى الثالث الذي يرمي بنا الى قلب حقل الفعل ، أي حقل الخطاب ، هو المستوى الذي يميز اكثر بين معاني اللفظ المشترك .

لكن ان أطلقنا العنان لانفسنا ، وتصرفنا كما طاب لنا داخل هذا الحقل (19) ، كانت عندنا المعاني بلوازمها . وهذا المستوى الرابع مستوى مميز لمعاني اللفظ المشترك .

وما نعتقد أن بعد مراعاتنا للمستويات الاربعة سيبقى ثمة لفظ مشترك أو لبوسة لغوية محتملة او متشابه يحتاج الى تأويل .

اتضح عندنا الآن أن المستوى الاول ، مستوى الجذر ، هو الذي يعد في الحقيقة محط اللفظ المشترك ، اذ ليس هناك بعد اي داع للتمييز ، بل قد نذهب الى أبعد من ذلك فنقول : **ان اللغة العربية ، خلافا للغات**

---

15 ـ الامتداد الفاتح هو ما يعرف عند غيرنا ب : La tension ouvrante

16 ـ الدال بالفعل هو le signifiant d'effet

17 ـ نترجم Acte de langage ب «عملية الخطاب»

18 ـ نسمي هذا الزمن ب « الزمن الممارس» بكسر الراء مقابلينه بما يسمى عند غيرنا ب : Temps opérant

19 ـ سنشرح بتفصيل في عدد لاحق ان شاء الله هذه المنهجية عندما نتعرض لـ « لسانيات الموقف » La linguistique de position

كثيرة أخرى ، لا تتكلم بالجذور . لان الإجذر ، كما قلنا ، دال بالقوة ، انــه لــغــــة .

لكن عندما نزرع فيه قليلا من النشاط الفردي بمزجه بـ «صرفـات» فانه يشرع في التحرك ويبدأ يشغل الوظيفة التي من أجلها كان «الدليلون» في ذلك الحين نكون انتقلنا الى المستوى الثاني ، مستوى المضارع .

لكن ، مازال هذا المستوى ملتصقا بحقل القوة ، ولذا كانت قدرته على الفرز على قدر ابتعاده من هذا الحقل .

ان عدنا الى الجدول رقم 1 السابق ، لاحظنا أن اللفظ « وجد » موزع على ثلاثة مراكز بالنظر الى المستوى الثاني ، مستوى المضارع (20) .

1 ـ المركز الاول يشمل المضارع المكسور العين . وبما أن الفعل مثال ، فانهم ، في هذه الحالة ، يطبقون قاعدة صرفية يريدونها عامة ، يصيغونها على هذا النحو « اذا وقعت الواو بين عدوتيها حذفت » . يصيـر المضارع بعد تطبيق هذه القاعدة « يجد » بكسر الجيم . الا أن هذا المركز لا يحد من الاشتراك الا بقدر يسير ، لانه يجمع ، في زمـرة واحدة خمسة أفعال من مجموع الافعال الثمانيــة .

انــه يفرز ثلاثة ، أشرت الى الاول بـ « د » وأشرت الى الثاني بـ : « ر » وأشرت الى الثالث بـ « ح » .

2 ـ يكون المركز الثاني المضارع الذي يأتي على وزن « يفعل » بضــم العين (21) ، وهو الذي أشرت اليه في الجدول بـ « د » كان حقهم ، ان قبلنا مجيئه مضموم العين ، رغم أنه مثال ، أن يقولوا « يوجد » اذ ليـس هناك داع لحذف الواو ما دامت غير واقعة بين عدوتيها كما يقولون .

---

20 ـ ومعلوم ان كل ما هو نشاط فـردي فكلام ، وكل ما هو اجتماعي فلغة

21 ـ ذكر هذه العبارة الجوهري فــي الصحاح ، الجزء الاول صفحة 544 العمود الاول ، لسطر 15 ، وذكره ابـن منظور في « لسان العرب » تحت مـادة «وجد» كما ذكره غيرهمـا

يتفق جل اللغويين على ان الصيغة « يجد » بضم الجيم وحذف الواو صيغة « لا نظير لها في باب المثال » .

وجميع من أورد هذه الصيغة يستشهد بأبيات لجرير التي يقول فيها . (22) :

لو شئت قد نقع الفؤاد بشرية (23)

تدع الصوادي (24) لايجدن غليلا (25)

بالعذب في رضف (26) القلات (27) مقيلة

قض(28) الاباطح ، لا يزال ظليلا

يبرر سيبويه هذا الحذف فيقول : « وقد قال ناس من العرب :

وجد يجد كأنهم حذفوها من يوجد ، « وهذا لا يكاد يوجد في كلامهم ».

ونلاحظ ان كلهم يقررون انها لغة عامرية بهذا يتميز ما أشرت اليه بـ « د » عن الباقي .

3 ـ اما المركز الثالث فهو المضارع الذي يأتي على وزن يفعل بفتح العين ، أشرت اليه في الجدول رقم 1 بـ « ز » و « ح » .

فلم يبق لنا اذن باستعمالنا للمستوى الثاني ، وهو المضارع ، الا ثلاث مجموعات .

1 ـ مجموعة وجد يجد (بكسر الجيم)

ب ـ مجموعة وجد يجد (بضم الجيم)

---

22 ـ نسبه الكثير الى لبيد وصحح هذه النسبة ابن بري

23 ـ قوله « نقع الفؤاد » اي روي ، يقال نقع الماء العطش : اذهبه ، نقعا ونقوعا فيهما ، والماء الناقع العذب المروري

24 ـ الصادي العطشان

25 ـ الغليل : حر العطش

26 ـ والرضف : الحجارة المرضوفة

27 ـ القلات : جمع قلت ، وهو نقرة فى الجبل يستنقع فيها ماء السماء

28 ـ قض الاباطح : يريد انها ارض حصبة ، وذلك اعذب للماء واصفى

ج ـ مجموعة وجد يوجد (بفتح الجيم)

فالاشتراك الذي كان في حقل القوة موزعا على ثمانية عناصر ، اي مائة في المائة صار في المستوى الثاني موزعا الى ثـــلاثة عناصر فقط . فاللبوسة اللغوية التي كانت في مستوى القوة 100 في المـائة حين كانــت من ثمانية عناصر ، نزلت في هذا المستوى الثاني الى 37،5 ٪.

ومعلوم ان المستوى الثاني هو مستوى أكثر حريـــة مـــن السابــق ، ولذلك تعددت فيه الاصول(29) ، وتبعا لذلك تعددت فيه المصادر ، ومــع ذلــك فاننا نلاحــظ أنه مميــز بشكل فريــد . نتذكر أننــا استطعـــنا أن نكون ثلاثة مراكز حين نظرنا في المستوى الثاني ، مستوى المضارع .

ـ مركز « وجد يجد » الذي يتكون حسب ما نراه في الجدول رقــم 1 من (أ) و (ب) و (ج) .

لكن هذا المستوى الثالث يفرز بين هذه الافعال الثلاثة فرزا عجيبـــا بحيث يقصي اللبس اللغوي عن هذا المركز بشكل نهائـــي .

ان الفعل (ج) يتميز عن الآخرين في هذا المركز بالمصدر السابع الــذي لايشترك معه فيه اي فعل من الافعال الثمانية في الجدول ، بله الثلاثة .
أما الفعل (أ) فانه يتميز بمصدره السادس الذي لا يشاركه فيه غيره.
وليس للفعل (ب) الا مصدر واحد هو « وجودا » بضم الواو (أنظــر المصدر الرابع في الجدول) .

وبهذا سيصبح هــذا المركز كما يلي :
1 ـ وجــد يجد اجدانا .
2 ـ وجد يجد وجودا .

---

29 ـ ان اللغة بالنسبة لي نظام مـــن الدالين . من هؤلاء الدالين الاصل و الصيغــة وحرف المعنى ، وما يسمى عند النحاة الاقدمين ب (ترك العلامة) ومعلوم ان الاصل والصيغة لا يكونان في الاستعمال الامندمجين ،ولــذا فهما مجردان . واما الدال (حرف المعنـــى) فهو الذي يطلق عليه عادة «الاداة» التي توظـف لتخصيص دلالة الاسماء والافعال . وامـــا الدال الرابع ، وهو ما يعرف ب «ترك العلامة » فيدل على معنى بعدم ثبوته في اللفظ

3 ـ وجد يجد وجـدا .

فالمقطع (1) الاول يتميز بـ (اجدانا) الذي لا نجده لا في (2) ولا في (3) كما أن (2) امتاز عن الآخرين بالمصدر (وجودا) .

وتتحدد (3) بالمصـدر (وجـدا) بكسر الواو .

فاذا نظرنا الى المركز الثاني الذي استخلصناه ، قـبل قليـل ، من المستوى الثاني ، لاحظنا أن فيه ، هو ايضا ، ثلاثة أفعال أشرنا اليها بـ : (د) و (هـ) و (و) .

أما (د) فانه يتميز في المستوى الثالث لانه استأثر بمصدر لانجـده في فعل آخر هو « موجدة » (أنظر المصدر الثامن في الجدول) .

وأما الفعلان (هـ) و (و) فانهما اشتركا في المستوى الثاني ، وهـو المضارع(30) كما اشتركا في المستوى الثالث وهو المصدر (31) ، وبذلـك بقيـا فـي لبسهـمـا .

وما قلناه في الفعلين (هـ) و (و) نقوله في الفعلين (ز) و (ح) مـن المـركـز الثـالـث .

الا اننا حين ندقق الامر اكثر ، نلاحظ أن الفعل (هـ) هو الفعـل (ز) نفسه ، الا أن المستوى الثاني فيهما مزدوج . قبيلة تقول فيه « يجد » بالكسر وقبيلة أخرى تنطقه بفتح الجيم وبذلك تبقى الواو .

لكن الذي أحب أن أثير الانتباه اليه ، هو أن القبيلة التي تكسر الجيم في الفعل لا تنطق به مفتوح العين ابدا ، والتي تفتح جيمه لا تكسرها أبدا. لذا كان قول النحاة الاقدمين : « **يجوز فيهما الوجهان : الكسر عـلى القياس والفتح على الشذوذ** قولا غير معلل ولا مقبول .

---

30 ـ يأتي مضارعهما معا على وزن يفعل بكسر العين ، وبما ان الفاء واو فانها تسقط منهما وبذلك يتحدان

31 ـ مصدرهما معا «وجدا» بفتح فسكون فالاشتراك باق فيهما اذن حتى في المستـوى الثالـث

فالكسر قياس متبع عند القبيلة التي تكسر الجيم تتبعه في استعمالها دائما ولا تحيد عنه أبد الآبدين .

والفتح عند القبيلة الاخرى قياس متبع عندها لا تعرف غيره . وعندما نقول الآن : يجوز في (وجد) « يجد ويوجد » نكون أخذنا قياسا من قبيلة ، وقياسا آخر ، في قوة الاول ، من قبيلة أخرى ، ثم سمينا واحدا قياسا ، وسمينا الاخر شذوذا . أما ان قررنا أن نتكلم بلغة منسجمة ، موحدة مستقاة من أصل واحد ، أخذنا ، في كل مرة نأخذ فيها اللغة ، من قبيلة واحدة ، لا نأخذ استعمالا مألوفا من هنا ، واستعمالا مألوفا آخر من هناك، وبذلك نوفر على انفسنا هذه الاوجه المتشعبة التي يتيه فيها ، ومعها ، المتخصص وغير المتخصص على السواء .

وهكذا سيصبح عندنا أمران ، على المعنيين بالامر ، ومن ضمنهم أعضاء المجامع اللغوية بالبلاد العربية ، ان يختاروا أمرا واحدا :

ـ أما **الامر الاول** فيعطينا فعلين عوض أربعة :

ـ الفعل الاول نأخذه من (هـ + ز) وهذا يتميز ، في المستوى الرابع ب **(حرف المعنى)** ونقرر أن يكون مكسور العين فقط على تقدير أننا نتكلم بما تتكلم به قبيلة واحدة لاقبيلتان .

ونقول و + ز   وجد يجد وجدا بـه .

ـ الفعل الثاني نأخذه من (و + ح) وهذا يتميز عن السابق في مستواه الرابع ب (حرف المعنى) أيضا ويأتي كسابقه مكسور العين : نقول :

و + ح   وجد يجد وجدا لـه .

وأما **الامر الثاني** فهو أن نميز بين الفعلين (هـ + ز) و (و + ح) باستخدامنا للقيمة الخلافية الموجودة بين (هـ) و (ز) من جهة اخرى و (و) و (ح) من جهة ثانية ، زيادة على القيمة الخلافية المستخلصة من المستوى الرابع ، فنقول :

1 ـ ء + ز وجد **يجد** وجدا به

2 ـ و + ح وجد **يوجد** وجدا له .

أما ان طلب مني الرأي فأنا أميل الى الامر الثاني لان الفرز فيه معزز بقيمتين خلافتين أمنا لكل لبس : قيمة خلافية على مستوى المضارع ، وأخرى على مستوى حرف المعنى :

فان صرنا على هذا المنوال ابتعدنا ، وبشكل معقول ، عن اللبس اللغوي الذي يلازم كثيرا من المواد الافرادية (32) ..

مثال آخر يعزز هذا الفرع

أحب أن استقي المثال الذي أعزز به ما أقول مما نسميه بـ « **الترميم** » وباب « الترميم » في اللغة العربية شاسع الاطراف ، اذ يندرج تحته الالفاظ المقتولة ، والالفاظ المتروكة ، وبعض ما بني حديثا وغيره . ولكنني سأكتفي منه ، بهذه المناسبة ، بما يدل على التطور الذي يلحق اللغة في حالات متعاقبة .

خذ مثلا اسم الآلة الذي يأتي الآن في أغلب الاحيان ، في اللغة العربية على وزن (م + فعال) كمفتاح ، ومنشار ، ومصباح ، ومذياع ، وغيرها ، فستلاحظ ان اللغات السامية الاخرى تستعمل ، في كثير من الاحيان ، لتدل على اسم الآلة ، الوزن « فعال » .

وقد كانت اللغة العربية تشارك اخواتها في هذا ، وما زالت بقايا فيها شاهدة على ذلك حتى الآن ، كـ « لسان » و « نطاق » و « ذراع » . ولقد أضافوا (م) على الوزن القديم « فعال » ليؤكدوا أكثر على الصيغة .

الفرع الرابع اختلاف اللهجات

لاشك ان اختلاف اللهجات العربية المتواجدة الآن في اللغة التي نسميها الفصحى أثرى اللسان النموذجي الذي نتحدث به ثراء ما عليه من مزيد ، بل ان هذه اللهجات ساعدت اللغة العربية على ان تكون من الغناء

32 ـ اقصد ب « المواد الافرادية » الالفاظ المعجمية

لا من حيث المادة الافرادية . ولكن أيضا من حيث المقولات النحوية وغيرها، بالقدر الذي يستحيل معه على أي انسان أن يحيط بها . وهي من أجل اخذها من كل اللهجات العربية ملفقة تلفيقا خطيرا أضر لا بالمستوى الصوتي التركيبي فقط ، وانما بالمستوى الدلالي .

ولاشك ايضا أن الاخذ من لهجات متعددة بدون قيد ولا شرط الا شرط البداوة والبعد عن أية حضارة تهذبها يعدد الالفاظ التي تعبر عن المفهوم الواحد . وهذا هو بالذات الذي وسع حقل ما يسمى بالمشترك .

والمشترك ، كما لا يخفى ، هو اللفظ الواحد الدال على معنيين مختلفين فأكثر ، دلالة على السواء ، وهو ممكن الوقوع لجواز أن يقع ، أما من واضعين بأن يضع احدهما لفظا لمعنى ، ثم يضعه الآخر لمعنى آخر ، ويشتهر ذلك اللفظ بين الطائفتين في افادة المعنيين ، وهذا على أن اللغات غير توقيفية ، واما من واضع واحد لغرض الابهام على السامع حيث يكون التصريح سببا للمفسدة(33) » .

الفرع الخامس : ما يطرأ على الاصوات الاصلية للفظ من التغيير :

قد يطرأ على الاصوات الاصلية للفظ ما ، بعض التغيير أو الزيادة وفقا لعوامل نمو اللغة . فيصبح هذا اللفظ متحدا مع لفظ آخر يختلف عنه في معناه . مثال ذلك ، النغمة » واحدة ، النغم »(34) وهو حسن الصوت في القراءة . طرأ تطور صوتي على هذه اللفظة بابدال الغين همزة لتقارب المخرج . فقيل ، النأمة » بمعنى « النغمة »(35) . وكذا يقال بالنسبة لكل لفظ طرأ عليه ابدال او اتباع كـ « جذوة » من النار و « جثوة » منها ، وانه لكثير الغشم ، و « الغشب ، وهو التعدي والظلم ، وصفق بيده يصفق

---

32 ـ المزهر الجزء الاول ص 369 أنظر ايضا ما يشير اليه رقم الحاشة 10

34 ـ بتسكين الغين

35 ـ علق الدكتور ربحي كمال على هذه اللفظة فقال « في العبرية (Ne matá) بمعنى النغم وفي السريانية (Ne îmah) او الترنيمة ، او اللحن

تصفيقا وصفح بيده يصفح تصفيحا ، والتصفيقة والتصفيح واحد(36) .

لقد اهتم اللغويون اهتماما عظيما بهذه النقطة وأفردوا لها مؤلفات.

واتفق الجم الغفير منهم على ان العرب لاتبدل حرفا بـحرف ليكون عندها لفظا لمفهوم واحدة ، ولكن ـ نقولها مرة أخرى ـ ذلك عائد الى تباين عادات قبائلها ، فمنها من تنطق بالكلمة مهموزة ، ومنها من تنطق بالكلمة مسهلة ، ومنها من تعودت على النطق بالصاد ومنها من تقلب هذه الصاد سيـنـــا . جاء في المزهر قال (أبو الطيب في كتابه) (37) :

« ... ان قبيلة واحدة لا تتكلم بكلمة طورا مهموزة ، وطـورا غيـــر مهموزة ، ولا بالصاد مرة وبالسين أخرى ، وكذلك ابدال لام التعريف ميما، والهمزة المصدرة عينا ، كقولهم في نحو « أن » «عن » . لا تشترك العــرب في شيء من ذلك،انمايقو ل هذا قوم ، وذاك آخرون » . (38)

وما من شك أيضا أن القبيلة العريقة في البداوة تميل في نطقها الى الصوت الشديد ، وبمعنى آخر الى الصوت الخشن الذي يوافق مزاجـها والذي توثره ، طبعا ، على غيره .

فأزد شنوءة مثلا تقول « تفكهون » بالهاء ، في حيـن تقـــول فيهـــا تميم « تفكنون » (39) بالنـــون .

والحجاز ، وهي القبيلة العريقة في الحضارة ، تقول « حيث » بالياء، في حين تقول القبيلة العريقة في البداوة ، تميم « حوث » .

وهكذا يمكن أن نقيم لائحتين متواجهتين : لائحة تبين نطق القبائل العريقة في الحضارة ولائحة تبين نطق القبائل العريقة في البداوة .

---

36 ـ نقلت هذه الفقرة من كتاب «التضاد في ضوء اللغات لاسامية» للدكتور ربحى كمـال الذي نقله بدوره من مذكرات فى فقه اللغـــة للاستاذ احمد الاسكندري

37 ـ ما بين القوسين زائد ليتضح الكلام

38 ـ المزهر الجزء الاول ،صفحة 460 السطـر 14

39 ـ وهذه لم تندمج لحسن الحظ فياللغة النموذجية التي نتحدث بها ،ولو وقع لكـــان اساتذة اللغـــة العربيـــة يقولون لاطفالهـم المساكين : « يجوز فيها الوجهان : تفكهـــون، و تفكنون »

لائحة نطق قبائل الحضارة	لائحة نطق قبائل البادية
مـدح	مـــده
الايـم (40)	الايـــن
طـان	طـام (41)
فنـــاء	ثـنـــاء
جدثـت	جـــدف
جـــدا	جثـــا (42)
مـــرت	مـــرث (43)
عــــرد	هـــرث (44)
الكثـــاءة	الكثعـــة (45)
قـحـــل	قـهـــل
حسيفـــة	حسيكة (46)
الغـيـــم	الغـيـــن

40 ـ الايم الحية ، وربما شدد فقيل ايم

41 ـ جبل : اي طانه على الخيـــر اي جبلـه عليـه ،

42 ـ جثا : جلس على ركبتيه او قام على اطراف اصابعـه

43 ـ مرث فلان الخبز فى الماء دلكـه في الماء حتى تخلل اجزاؤه وقد ينطق في قبيلـــة ثالثة بنلسين فيقال « مرس»

44 ـ هرد، مزق (الثوب) وقد نطقت قبيلة ثالثة بالطاء فقالت «هرط» (انظر مزيدا مـــن التفصيل عن هذا اسفله)

45 ـ بضم فسكون ففتـــح ، وهـي ان يعلو دسمه وحثورته على راسه في الاناء

46 ـ غـل وعداوة

والقائمة طويلة جـــدا .

هذا واننا لنستطيع ، بالنظر الى الوحدة الدنيا المميزة التي تفضـــل النطق بها القبيلة ، أن نقيم الآن قوة اللفظة بشكل رياضي دقيـــق .

خذ ثلاثة قبائل ، واحدة تنطق بالتاء ، والثانية تنطق بالدال ، والثالثة تنطق بالطاء . ستقول الاولى في المفهوم «مزق» .

1 ـ هـرت الثـوب

وتقول الثانية : 2 ـ هرد الثوب

وتقول الثالثـة : 3 ـ هـرط الثـوب

أما ابن جني الذي يعتمد في دراسته لالفـاظ اللغة ، حتى وهو بصدد البحث عن المكون الدلالي على الصوت الذي يوحي له ، في نظره بـالمعنى أو على الاقل يعطيه جزءا من هذا المعنى ، فيقول في هذا المنحى : « ومـن ذلك قولهم قرت الدم ، وقرد الشيء ، وقرط المكان يقرط فالتاء أخفـــت الثلاثة ، فاستعملوها في الدم اذا جف لانه مستخف في الحس عن القردد الذي هو النباك (47) في الارض ونحوها . وجعلوا الطاء ـ وهي أعـلى الثلاثة صوتا ـ للقرط(48) الذي يسمع . وقرد من القرد وذلك لانه موصوف بالقلة والذلة . قال الله تعالى : « كونوا قردة خاسئين (49)».

نحن لا نعرف ما منهم أقوى وما منهم أضعف الا اذا اتحدت الالفاظ اتحادا تاما في جل الصوتات ، وكانت الصوتة الاخـــرى التي أنفـردت بالنطق بها كل قبيلة متقاربة .

فما أحرز من الحروف المتاقربة التي تنصب عليها المقارنة أكبر عدد من الصفات القوية حكمنا على « الدال » المشتمل عليها بأنه قـوي ، وان احرز الصوت المتقارب على صفات قوية قليلة حكمنا على « الدال » بأنـــه

---

47 ـ مفردة لكبة الاكمة المحددة الراس او التل الصغيـر

48 ـ القرط يسمع له صوت اذا كـــان قطعا وشقــا

49 ـ الاية 65 من السورة الثانية البقرة

ضعيف . ولابد ، ان اردنا أن نحقق ذلك ، من أن نبرز الصوتان المتقاربة في جدول يبين لنا بوضوح الصفات القوية التي تمتاز بها ، بالمقارنة مع أخواتها . واذن سيكون عندنا ، بالنسبة للوحدات الثلاث الدنيا المميزة التي تهمنا الآن ما يلي :

الاستطالة			
التفشي			
التكرير			
الانحراف			
اللين			
القلقلة		×	×
الصفير			
الاطباق			×
الاصمات	×	×	×
الاستعلاء			×
الشدة	×	×	×
الجهر		×	×
	C:	V	[illegible]

ان مقارنة الصوتات الثلاثة ت ، د ، و ط ، لتعطينا ما يلي :

$$\text{قوة ت} = \frac{\text{قوة د}}{٤}$$

أو : $$\text{قوة ت} = \frac{\text{قوة ط}}{3}$$

واذن

ق.ت = ف د / ٤ = ق ط / 3

ومن هنا نستخلص أن :

قوة قــرت = قوة قرد / 2 = قوة قــرط / 3

الفرع السادس التضاد

نظرا لاهمية هذا الفرع الذي سيطول الحديث عنه كثيرا لتشعبه افضل أن أخصص له بحثا مستقلا في فرصة أخرى قادمة ان شاء الله .